

الفرقة العثمانية الصبايحية وامتداد نشاطها في الفترة الاحتلال الفرنسي

The French occupation between communication and severance with Ottoman Algeria in the military divisions

aida habbati

• اسم ولقب المؤلف الأول: عايدة حباطي

الدرجة العلمية والعنوان المهني: الدكتوراة عايدة حباطي من جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

البريد الإلكتروني: habbati.aida@univ-emir.dz

habbati.aida@gmail.com

تاريخ النشر: 2024 / 12/26

تاريخ القبول: 2024/12/22

تاريخ الاستلام: 2024/12/19

ملخص:

شكل النشاط العسكري أحد أبرز ملامح العثمانية في الجزائر، واعتمدت فيه على مؤسسة عسكرية قارة قوامها الجيش الانكشاري، كما استعان الدايات في أواخر عهدهم بفرق عسكرية أخرى كالزواوة والصبايحية... في حفظ الأمن وجباية الضرائب، امتد نشاطها إلى الفترة الاستعمارية، وعملوا كمجندين مع الجيش الفرنسي، لذلك ارتبطت حياتهم المهنية كخالية بنعوت كثيرة نعتوا بالمتعاونين وعملاء لدى الإدارة الاستعمارية، إلا أنهم ارتبطوا على صعيد آخر بأحداث هامة في الجزائر كتمردهم في السبعينات والتحاق الأمير خالد بهم، ومن هنا جاءت إشكالية هذه المداخلة التي نتساءل فيها عن جذور هذه الفرقة ونشاطها في الفترة الاستعمارية؟ وفي سياق ذلك نناقش التواصل والقطيعة بن الأيالة في أواخر عهدها بالفرنسين؟

الكلمات المفتاحية :

الصبايحية، الفرق العسكرية، الجزائر العثمانية، فرنسا، الهيمنة.

Abstract :

Military activity was one of the most prominent features of the Ottoman era in Algeria, and it relied on a permanent military institution consisting of the Janissary army. In the latter part of their reign, the deys also sought the help of other military groups such as the Zawawa and the Sebaiha... in maintaining security and collecting taxes. Their activity extended to the colonial period, and they worked as recruits with the French army. Therefore, their professional lives as khalia were associated with many epithets, describing them as collaborators and agents of the colonial administration. However, on another level, they were associated with important events in Algeria, such as their rebellion in the seventies and the joining of Prince Khaled to them. Where did the problem of this intervention come from, in which we ask about the reality of the activity of this group during the colonial period?

key words :

Ottoman Algeria, France, hegemony, Military teams, Spahis.

مقدمة:

كان انهيار الحكم العثماني ونهايته في الجزائر، إذانا ببداية حكم فرنسي، الذي حمل في طياته نظاما تهديميا لكل روابط الجزائريين بماضيهم وروابطهم السابقة؛ لكن الفترة الانتقالية بين الأيالة العثمانية، وتثبيت النظام الفرنسي تعتبر من أخرج المراحل وأخطرها على الإدارة الاستعمارية، في حسم تقرير دوام الهيمنة واستمراريتها. فمن الأهمية بما كان بالنسبة للاحتلال الذي شكل دخوله الجزائر بعد حكم دام أزيد من ثلاث قرون، عرف على طوال هذه المدة الزمنية حالة من الاستقرار في النظم السياسية والعسكرية التي انعكست على الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وفي انتقالها الفجائي إلى نظم وإدارة مغايرة فيه مغامرة، وهو ما جعل الإدارة الاستعمارية تستعين مع بداية الاحتلال ببعض المؤسسات السابقة، بما في ذلك الفرق عسكرية التي تعود جذور تأسيسها للمرحلة العثمانية وهو الذي يقودنا إلى سؤال جوهري

للبحث في ثنايا الموضوع مدى تواصل الإدارة الجديدة مع سابقتها في تسير شؤون الجزائريين؟ هل شكلت قطيعة التامة أم امتداد؟ وللإجابة هذا السؤال اخترنا الفرقة سبايحية (صبايحية) كموضوع لهذه الورقة البحثية، التي أثارنا أسئلة أخرى عن حقيقة التسمية؟ وجذورها ودواعي تأسيسها في الدولة العثمانية ، ودور الفرقة في دعم القوات المسلحة الفرنسية؟

- الصبايحية وجذور تشكيلها في الأيالة العثمانية؛
- تأسيس الفرق الصبايحية في الفترة الاستعمارية؛
- الصبايحية بين الامتيازات والتكاليف في الفترة الاستعمارية

أولا / الصبايحية وجذور تشكيلها في الأيالة العثمانية:

عرفت هذه الفرقة العسكرية بعدة تسميات فإلى جانب سبايحية، نجد الصبايحية، التي تعني في اللغة العثمانية الخيالة، كما سموا المنتسبين إليها بالسبايس. وظلت التسمية نفسها تطلق على هذه الفرقة منذ عهد الأيالة العثمانية إلى الفترة الاستعمارية، بحث حافظت الإدارة الاستعمارية عليها (Spahis)، وكتبته الكتابات التاريخية وأدبيات المرحلة العثمانية أحيانا ب(السين) السبايحية، وأحيانا أخرى (الصاد) الصبايحية. بينما في المعاجم العثمانية جاء اللفظة سباهي والسيباهية (Sipahis) بمعنى العسكري، وأصبحت تسمية تطلق في الدولة العثمانية على صنف من الفرسان لهم نظام خاص. ومنها اشتقت (Sipahidar) قائد الجيش، رئيس العسكر¹ بينما ربطها آخرون بالصباح، بمعنى فارس أو عسكري الصباح²، وتجاهلوا لفظة العسكري واكتفوا بصفة الصباح واكتفوا بجعلها اسم علم على هذه الفرقة. وهو ما ما نوه إليه ريمبول (M.Rembault) في مثنوية تأسيسها: "أنها فعلا كانت تضم جنود الصباح

ص720، دار الكتب العلمية، (القاموس تركي - عربي) Ismet Yolcu, Sözlük Türkçe Arapça¹

² وحيد بوزيدي، المجندون المسلمون الجزائريون في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي وعلاقتهم بالقورة الجزائرية (1954-1962)، دراسة من خلال وثائق أرشيف ما وراء البحار، أطروحة دكتوراه، جامعة حسنية بن بوعلي الجزائر، 2021-2020، ص19.

الجزائري³ كما سموا حينها بالحركة، والأورطة⁴. إلا أنها تسمية لا تمت بصلة بما كان تقوم به هذه الفرقة من إشراقة الصباح في شيء سواء في الفترة العثمانية أو الفرنسية.

وإسقاط على المعنى اللغوي للفظه فإن سبايحي تطلق على الذي يشترك في الحرب مع أفراد من الذين كلفوا بإحضارهم للحرب⁵. وقد عرفها وليام سنسر: بأنها "مجموعة من الفرسان غير نظاميين المتكونة من القبائل البربرية أو العربية، يحتفظ لهم برواتب منتظمة كتكملة إضافة لرجال الثكنات التركية"⁶

يعود تأسيس هذه الفرقة إلى مجموعة من المتغيرات؛ فإلى جانب الطبيعة العسكرية لحكم العثمانيين، عرف العهد الأخير من الدولة العثمانية من حكم الدايات، هذه المرحلة الحرجة من تاريخ الدولة والأريالة الجزائرية حاجة الدولة إلى عناصر محلية لفرض سيطرتهم ونفوذهم من حيث استخلاص الضرائب وإخضاع ثائرين والمتمردين المحليين⁷ التي شهدت خلال فترات من حكم الدايات تصاعدا؛ كتمرد الحنانشة والنمامشة... والهجمات الخارجية، وأيضا سعى البايات إلى تجنيدها لتجنب عدائها وكسبها تحت جناحها كقبائل المخزن⁸، بالإضافة إلى ذلك فإن تأسيسها كان مربوطا بتراجع الفرقة العسكرية النظامية للجيش الانكشاري بعد حله بشكل نهائي في عهد محمود الثاني (1241هـ/ 1826م)، ازدادت الحاجة إلى جيش غير نظام من السكان المحليين.

Journal l'entente Franco musulmane, novembre - décembre 1941³. نقلا عن بلجة

عبد القادر، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي ودورهم في حروبه الخارجية (1830-1900) المجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج3، ع1، 1 جوان 2011، جامعة الجيلالي اليايس سيدي بلعباس، ص. 210.

⁴ هي لفظة عثمانية، (أورطة)، تطلق على الوحدة العسكرية التي تعرف بالطابور (فئة من الجند)

⁵ سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1421هـ/ 2000، ص132.

⁶ وليام سنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعر. عبد القادر زيادية، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2006، ص.82.

⁷ ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر، مجلة الأصلة، مج13، ع32، أبريل 1976، ص52.

⁸ ناصر الدين سعيدوني، ورفات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، بيروت، دار الرب الإسلامي، 2000، ص264.

كان تشكيل الفرقة الصبايحية في كل ربوع الأيالة، فكل باي تخضع له فرقة تسمى يولدش الصبايحية، وتمتعت هذه الفرقة بمكانة وبمدخول هام، يتقاضونه مقابل القيام بخدمات عسكرية، وبدورهم البايات يوفرون للفرقة المعدات كالسلاح والخيول، وقد انقسمت الفرقة من حيث الانتساب إليها بين السكان المحليين والأتراك .

كان الصبايحية من الأتراك لهم لباس خاص، برنوسا أحمر مرفقا بسروال، وسترة مزخرفة باللون الذهبي، ويكفل الباي تجهيز هذه الفرقة بالمعدات كالخيل والسلاح. وقد اقتصر تقريبا تواجد هذه الفرقة بعناصرها التركية في دار السلطان، بلغ تعدادهم حوال 500 فارس ممن يجدون ركوب الخيل، ومن الشيوخ. حسب تصريح هايدو، بينما بارادي يذكر أن الصبايحية في القرن 18 كان تواجدهم في خدمة البايات، ويقتصر تواجد باشاغا الصبايحية الذي يكون تركيا على الدوام في دار السلطان⁹. الصبايحي الأهلي هو من يتكفل بتوفير حصانه وبندقيته، وكان شرطا من شروط التحاقه بالفرقة إلى جانب دفعه مبلغ 100 بوجو /180 فرنك فرنسي. ويعتبر في كل الأحوال فارسا من فرسان المخزن يتمتع من الإعفاء من الضرائب الشخصية وأعمال السخرة. وفي حال وفاة الصبايحي العربي فإن فرسه وبندقته تعود إلى الدولة¹⁰.

وقد تولت كل البليكات الأيالة تزويد الفرق الصبايحية بالفرسان، فكانت القبائل ترسل بالفرسان من كل ربوع الجزائر من قبيلة بني سيلمان بدار السلطان، وأولاد دباب وأولاد عثمان، أولاد بوعيش، أولاد عبد النور ...¹¹

ثانيا/ تأسيس الفرقة الصبايحية في الفترة الاستعمارية:

أولت السلطات الفرنسية مع بداية الاحتلال أهمية كبرى لسكان المحليين ، خاصة منهم أولئك الذين سبق لهم أن حملوا السلاح إلى جانب الأتراك، وهي من الإجراءات الاستعمارية بعد أشهر من

⁹ صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي(1514-1830)، دار هومة، 2012، ص 318.

¹⁰ Henri federmann, Notice sur l’histoire et l’administration du beyilk de titeri, **Revue africaine**, N11, 1867,p 295.

¹¹ عائشة ناقل، الاستعمار الفرنسي للجزائر واستغلاله للواقع الاجتماعي الموروث من نظام أيلة الجزائر، جامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس، الجزائر، 2021، ص 83.

توقيع معاهدة الاستسلام (1831) التي أقدمت عليها فرنسا في مستعمراتها بتأسيس فرق عسكرية من السكان الأصليين. حيث اقترح الكونت دي بورمون (De Bourmont) تجنيدهم لعدة اعتبارات؛ منها صعوبة السيطرة على الجزائر أمام ما وجهه الاحتلال من مقاومة عنيفة مما استدعى مدد عسكري متواصل، عمد الفرنسيون بتشكيل فرقة الزواف، والمخزن والصبايحية، والقوم، والذين كانت منهم فيالق من الخيالة والرماة والقناصة. والأكد أن لها في ذلك مآرب كثيرة؛ فالنسبة لفرنسا الاستعمارية فإن تأسيسها حتى يكونوا يدها في إخضاع غيرهم من السكان. وبدورهم كانت هذه الفرق العسكرية تخشى على نفسها من سخط السكان المحليين قبائلا ودواوير، بعد أن كان فرسانها في العهد التركي يتولون مهمة جباية الضرائب وجمع الغرامات، وبالتالي وجدوا في الغازي الجديد الحماية. إلى جانب تسهيل إخضاع المناطق والأراضي التي لم تخضع بعد للسلطات الفرنسية، وإحكام السيطرة على تلك التي تم إخضاعها. الاستفادة من خبراتهم وتجاربهم الحربية، في تسوية النزاعات التي كانت تقع بين قبيلة وأخرى وأهدافها توسعية. التقليل الأعباء على القوات الفرنسية التي وجدت صعوبة في التأقلم مع مناخ الجزائر وهو ما جاء على لسان كولونيل ألبرت ديرون (Albert Durant): "منذ الأيام الأولى للاحتلال الجزائر، عرفنا أهمية إنشاء فرق للقوات الأهلية؛ من أجل تقليل التعب المفروض على القوات الفرنسية الذي تأثر بالمناخ. وكانت هذه القوات وسيلة للاعتماد على محاربين اعتادوا أجواء الحرب ضد بعضهم في جميع الأوقات لتسوية نزاعاتهم من قبيلة إلى قبيلة، ولجعلهم يقبلون هيمنتنا بصراحة، وينجذبون تحت رايتنا بحبهم للحرب وعن طريق هيبة نجاحنا، والأولى من ذلك إغرائهم بالأجور المرتفعة. لذلك يجب أن يكون هؤلاء (المرتزقة المسلمون) تحت سلطتنا، ورجالا يمكننا جعلهم عملاء في علاقتهم مع إخوانهم في الدين"¹². من المهام الموكلة إليهم يمكننا أن نضيف؛ حراسة المناطق التي يقيمون بها، ومراقبة السكان في نشاطاتهم السياسية، تحت إشراف ضباط فرنسيين¹³.

¹² Albert Durant, *historique du 3^e régiment de spahis*, Im . milit. Hneri Chareles –Lavauzelle , paris, 1892, p5.

¹³ يحي بوعزيز، مواقف الرسميين التونسيين من ثورة الصبايحية والكلوتي في منطقة الحدود الشرقية، عام 1871، مجلة الأصالة، ع 60-61، سبتمبر 1978، ص 157.

وقد استحدثها الفرنسيون وقلدوا في ذلك نظام الشواش الذي كان سائدا في عهد الأتراك واهتموا بتنظيمها وتطوره كفرقة عسكرية خلال عهد الإمبراطورية الفرنسية الثانية.¹⁴ في إطار سياسة نابليون الثالث - المملكة العربية- وإدماج الجزائريين، بأن صرح هذا الأخير: "إن أهم ما يكن للجزائر أن تقدمه لفرنسا هو الجنود"¹⁵

يعود تشكيل الصبايحية إلى تاريخ 16 نوفمبر 1931 عندما صدر أمرا بضمهم إلى قنصاة إفريقيا (chasseurs d' Afrique). بينما يعود تأسيس فرقة من الخيالة بهذه التسمية -الصبايحية- بشكل منفصل بأمرية ملكية 10 سبتمبر 1834. بفرق عسكرية من العرب والأتراك وقد انقسمت إلى فرق نظامية وأخرى غير نظامية (غير دائمة).¹⁶

ضمت الفرق النظامية منها (10 أكتوبر 1834) أربع سرايا في الجزائر العاصمة أسسها الجنرال فوارول، وأسندت قيادتها إلى الجنرال يوسف المملوك. وكتائب أخرى في وهران (1836)، وعنابة (1853). كما أسست 20 سرية صبايحية دائمة ابتداء من (1841)، بعد أن حققت السرايا الأولى انتصارات، خاصة في تتبع جيش الأمير عبد القادر في القطاع الوهراني. إلى جانب ارتفاع أعداد المنظمين للصبايحية شكلت القوات الفرنسية ما يعرف بالألوية (les régiments) وقد قسمت على العائلات الثلاث:

- اللواء الأول للصبايحية في الجزائر العاصمة / 1^{er} régiment de spahis algériens
- اللواء الثاني للصبايحية في وهران / 2^{eme} régiment de spahis algériens
- اللواء الثالث للصبايحية في قسنطينة / 3^{eme} régiment de spahis algériens¹⁷

بدلت السلطات الفرنسية جهودا معتبرة للمحافظة على هذه الفرقة، حتى تتفادى تقليص عدد فرسانها، فطلبت مبالغا ماليا إضافية من الحكومة الفرنسية، حيث طلبت مبلغ (43200) لتغطية النفقات المالية لفيلق قسنطينة فحسب. رغم ذلك فإن التجنيد التطوعي الصبايحية كان يتناقص، فكان تجميع 50 فارسا صعبا لسرية تضم من المفروض 140 فارسا، وقد أردفها شارل أندري جوليان، أن ظروفهم كانت

¹⁴ يحي بوعزيز، مرجع سابق ص 157.

¹⁵ Lunnel Eugene, **La Question algérienne, les Arabes, les colons**, ed. Chalmel Ainé, paris 1869, p95-96.

¹⁶ Albert Durant, **op.cit**, p10.

¹⁷ بلجة عبد القادر، مرجع سابق، ص. 210.

قاسية، كانوا يعيشون على الصيد، واضطروا في بعض الحالات إلى أكل القطط، بالإضافة، إلى أنهم واجهوا نظرة المجتمع إليهم على أنهم مرتدين.¹⁸ كما عرفت هذه الفرق هروب عدد كبير من جنود كتيبة عناية في ماي 1837، لصعوبة تعايشهم مع فرسان القبائل الكبيرة الذين انخرطوا في صفوف الجيش الفرنسي مع بقية الجنود من السكان وموقف الأعوان والقياد والشيخ الرافض أيضا للمتعاونين مع الفرنسيين من جهة، وموقف ضباط الم كاتب العربية بضم الفرسان فرقة القوم التي ترى أن لها الأولوية في التجنيد بدل الصبايحية الذين لجؤوا إلى التجنيد بسبب أوضاعهم السيئة.

يطلق على الثكنات التي يتمركز بها اسم الزمالات، وكان معظمهم متوجون ويتقاضون مرتبات شهرية. ويعملون في أراضيهم الخاصة، أو التي تضعها السلطات الفرنسية تحت تصرفهم، وعندما يحدث أي تشويش أو اضطرابات يدعون لمواجهته تحت إرشاد وقيادة الضباط الفرنسيين.¹⁹ ونقل الرسائل ومرافقتها²⁰. ارتبطت مهام الصبايحية ونشاطها بمكاتب العرب؛ بتبليغ أوامرهم إلى القبائل، وإطلاعها بالأوضاع.

كان التحاق الفارس بفرقة الصبايحية مشروط بـ:

- السن بين السادسة عشرة إلى الأربعين.

- ملكية حصان يصلح للحرب

- يصرح الراغب في الانخراط برغبته أمام الضابط المقتصد أو أحد نوابه من الجزائريين

- أن يقسم الراغب في الانخراط بولائه لفرنسا²¹.

هي شروط تتقاطع مع تلك الشروط التي وضعتها الأيالة العثمانية للمنضمين لها خاصة فيما يتعلق بسلاحه وفرنسه. كما أن فرنسا أرادت التخفيف على خزينتها بتجنيبها تكاليف مادية أخرى. لكن الغريب فيها هو اشتراطها بحلف اليمين على الولاء لفرنسا على حساب أخوانه في الدين.

حافظ الفارس صبايحي تقريبا على نفس اللباس الذي كان يرتديه في الفترة العثمانية مع إدخال

¹⁸ Julien Charles André , **Histoire de l'Algérie Contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation** 1827-1871 ,Alger ,Casbah Edition. 2005p274

¹⁹ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 157.

²⁰ Julien Charles André ,2005, op.cit.,p274.

²¹ بلجة عبد القادر، مرجع سابق، ص. 210.

بعض التعديلات خفيفة؛ حيث كان لكل رتبة عسكرية لباس خاص بها يميزها عن غيرها من الرتب العسكرية فبالنسبة للضباط كان لباسهم تركيا يغلب عليه المزوجة بين اللون الأحمر والأزرق بستره صدرية زرقاء وسروال تركي عريض قصير بحيث تكون الساق فيه مكشوفة من الركبة وسترة فوقها قصيرة (جابدولي) حمراء مزينة بالأسود ويلف وسطه بحزام أحمر عريض وطويل عند الخصر يغطه حائكا أبيض من الكتفين ويثبت في الرقبة بحبل من شعر الجمل، عليه شارة الفوج وفوقه برنوس أبيض مغطا بأخر أحمر، ليتم تغيير لباس الضباط من اللباس التركي إلى اللباس الفرنسي المعتمد في النظم العسكرية الفرنسية فيه سروال أزرق وسترة حمراء وعمامة²²

ثالثا/ الصبايحية بين الامتيازات والتكاليف في الفترة الاستعمارية:

حظيت الصبايحية على غرار كل الفرق المتعاونة التي أعادت السلطات الفرنسية إحيائها بعد سقوط الحكم العثماني في الجزائر، بامتيازات وثناء مرؤوسهم من الضباط الفرنسيين: "مرت مائة سنة وأكثر منذ إنشاء فيلق القوات المحلية للمشاة وسلاح الفرسان والرماة والصبايحية في الجزائر، ولم تنس فرنسا كيف عزز جنودها المسلمون والعرب والقبائل مجد جيشها الإفريقي المجيد ولا كيف لم يتخلوا عنه، بأن شرفوه بنجاحاتهم، ولهذا أردنا تكريما لهم وإعجابا وتقديرا أن نذكرهم بأنهم يحتلون مكانة خاصة في قلب الوطن الأم. والذكريات التي تثيرها الأسماء المكتوبة بأحرف من ذهب.... على شجاعتهم وأخلاقهم ووفائهم..²³ واهتمت لأدق تفاصيل حياتهم الشخصية في مأواهم ومشاربهم وعلاقتهم في ما بينهم وحفلاتهم وأغانيتهم المتداولة...²⁴ وما كثرة المؤلفات المنشورة حول ذلك إلا دليل على هذا الاهتمام.

إلى جانب الأجور، منحت السلطات الاستعمارية لبعض الصبايحية قطع من الأراضي الزراعية، بهدف ضبط استقرارهم في المناطق معينة للمراقبة والحراسة، وبجلتهم على عامة الجزائريين في المعاملة، لكن في الأحوال لم يرتقوا إلى الفرنسيين ويدق عليهم ما كان رائجا حينها "العربي عربي ولو كان الكولونيل

²² Florian Pharaon, **Spahis Turcos et Gouliers**, Challamel Alné editeur, 1864. P2.

²³ **Les Troupes indigènes de l'Algérie au service de la France, Tirailleurs, spahis, Goumiers, Sahariens**, imprimerie Minererva, p.7

²⁴ للمزيد ينظر: p102-9 op cit Florian Pharaon,

بن داود". وميزت الكتابات بينه وبين الجندي الفرنسي؛ حيث اعتبر رجل حرب متطوع لا يدخل الثكنات وإنما يمارس حياته العادية مع زوجاته وأولاده في الخيمة (زمالة).²⁵ في أبدى بعض الضباط الفرنسيين اشمئزازهم العنصري منهم؛ كالكولونيل مان (Menne)، الذي وصفهم: "حلفائنا الحقيرين"²⁶، والكولونيل كانوبير: "ليس لنا بين الأهالي سوى الأعداء... وليس لنا بين العرب أصدقاء"²⁷

كما أعقد عليهم بالنياشين²⁸، وكانت لهم أناشيد خاصة اهتمت الذاكرة الحربية الفرنسية الإحتفاظ بها في شكل صولفاج²⁹ ونوطات موسيقية. كما أسست الفرقة جمعية باسم البرنوس³⁰ منذ 1895 لقدماء المحاربين مصحوبة بمجلة تعكس نشاط الصبايحية على مستوى المستعمرات الفرنسية. كالمغرب وتونس ولبنان...

شارك الصبايحية الذين بلغ عدد المنظمين إليها حتى سنة 1841 (2800) فارسا³¹ في مختلف حروب فرنسا الداخلية والخارجية فكانوا أداة طيعة في يد الجيش الفرنسي في مراقبة السكان، وإقحامهم في كبح الثوار المقاومين؛ فكان تنظيم هذه الفرقة قد تزامن مع تعيين الجنرال بيجو الذي كان يسعى إلى القضاء على مقاومة الأمير عبد القادر، حيث تم إشارك فرسان الصبايحية في ضرب هذه المقاومة. ورغم الخذلان الذي صاحب نشاط صبايحية اتجاه جزائريتهم ومع بني جلدنهم، إلا أنهم كانوا يشعرون بتأنيب الضمير³² لأنهم كانوا يخالفون الاتجاه العام في الجزائر، أو أنهم كانوا يخشون على أنفسهم من ردة فعل

²⁵ Ibid, p.22

²⁶ مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 92.

²⁷ بلجة عبد القادر، مرجع سابق، ص. 210.

²⁸ ينظر: الملاحق.

²⁹ ينظر: الملاحق.

³⁰ ينظر: الملاحق.

³¹ بلغ عدد المجندين في صفوف الجيش الفرنسي من مختلف الفضائل في الفترة الممتدة ما بين 1830-1841 (14418)، ليصل هذا المجموع سنة 1900 (49000) للمزيد ينظر، محمد بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي (1830-1900)، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005-2006، ص 204.

³² نقل مونتانيك (Montagnac) صورة عن ذلك الخزي الذي يشعر به الصبايحي عندما يأمر بتنفيذ أوامر بإعدام ضد الزعماء الوطنيين: "إن موت هذا الرجل الكبير الشأن (سي زردود) أصاب جميع الصبايحية الحاضرين بالوجوم،

الجزائريين. فيذكر الكاتبان دوكرو (Ducrot) ما لحظه على الجنود الخيالة في مواجهة مقاومة الأمير عبد القادر: "وجود الأمير عبد القادر في المعركة كان دائما يؤثر على الخيالة من الأهلي تأثروا لم يكن من السهل أن يتخلصوا منه، ومهما بذلنا من جهود، فقد كان ذلك التأثير يحط من معنوياتهم وشجاعتهم...." ³³.

كما تم إقحامهم في حروب فرنسا الخارجية ونقلهم إلى أوروبا بقرار في 18 جانفي 1871، إبان الحرب الفرنسية البروسية، وكان ذلك مدعاة للثورة هؤلاء على مرؤوسيههم لرفضهم المشاركة في حرب خارج الجزائر بزموالات مجبر والطارف، وبوحجار وعين قطار بشرق البلاد ووسطها. وإن كانت في حقيقة هذا السخط بدأ قبل هذا التاريخ، الذي تسبب في فرار بعضهم من بوغار إلى مستغانم أواخر سبتمبر 1870.

عبر الراضون لتسفيرهم إلى أوروبا بقرار 237 منهم بأسلحتهم إلى وأمتعتهم في 22-23 من سبتمبر ليتصاعد الرقم إلى 2000 رجلا، ثم أخذ هذا الرفض منحى خطير بانضمام بعض من أهالي لحناشة والتحاق الكبلوتي بن طاهر بهم ؛ حيث قام هؤلاء الثوار بقتل ضابط فرنسي، وحرقت مزارع الأرويين حول سوق أهراس وقتلوا تسعة منهم، وقطعوا أسلاك الهاتف، كما تطورت إلى مناوشات دامت (30 سبتمبر إلى 8 نوفمبر). ارتفع معها عدد القتلى الفرنسيين إلى 15 شخص ³⁴. واجهت فرنسا هذه الثورة بعقوبات قاسية ³⁵.

كانت الصبايحية أيضا جزء من الآلة العسكرية الفرنسية في حملتها على السنغال، بأن تم اختيار سرية من اللواء الأول للصبايحية لتكون تحت تصرف القيادة البحرية. كما كان الجزائريون من الصبايحية

إلى درجة أنني لم أجد بينهم من رضى أن يتنازل لي عن حصانه لكي نحمل عليه جثة القتيل من أسفل الوادي، إلى أعلى سفح الجبل، حيث كنت أنوي أن أصدر الأمر بقطع رأسه، وبمحضر جميع أفراد الكتيبة وأمام الصبايحية كلهم.... أما بالنسبة لقطع رأس القتيل، فقد كان الأمر أصعب وكنت حريصا على أن تنفذ العملية من طرف الصبايحية والقصد من ذلك إفساد العلاقة بينهم وبين بقية السكان العرب ولكن جميع الصبايحية العرب رفضوا أن يمثلوا للأمر... " مصطفى الأشرف، المرجع السابق، ص 93-94.

³³ مصطفى الأشرف، مرجع سابق، ص 92.

³⁴ يحي بوعزيز، مرجع سابق، ص 158-159.

³⁵ رد فعل فرنسا

من المشاركين في حرب القرم، بأن أسست القوات الفرنسية استعدادا لهذه الحرب سلك مؤقت من الخيالة (25 ماي 1853)، سمي سلك الصبايحية المشرقي (corps des Soahis d'orient).³⁶ كان لفرقة الخالية نصيب في انتصارات فرنسا في حروبها الخارجية واستعادة بعضا من أراضيها في حروب سابق (الألزاس واللوران)، فكانوا جزئ من تحضيرات فرنسا (1893-1914) للحرب العالمية والاولى وفرض الحماية على المغرب، التي أحد الفيالق المشاركة فيها (الفيلق الثالث) إلى جانب جهودهم التي كانت في سوريا و كليكيا (cilicie) -اسم روماني لمدينة في أسيا الصغرى³⁷

كما شارك اللواء الخامس المؤسس بمرسوم 14 ماي 1914 والمشكل من تسع سرايا انطلاقا من بشار إلى المغرب وبارش هناك مهامه في المراقبة والاستطلاع وضمان استمرار السيادة الفرنسية في المغرب، أمام الإجراءات الألمانية وثورات القبائل المنشقة.³⁸

وبذلك فإن الصبايحية كانت أداة طيعة، استعملتها الإدارة الإستعمارية لبسط نفوها محليا وخارجيا، إلا أنها كانت حذرة في التعامل مع الصبايحية خاصة على خلاف الفرق المتعاونة الجزائرية.

الخاتمة:

في الأخير نخلص، أن هذه العناصر التي شكلت الاستثناء في نسيج الاجتماعي للمجتمع الجزائري، تعاملت مع سلطات على اختلافها من مبدأ المصلحة المتبادلة، وإن كان ذلك على حساب عامة الجزائريين في الأيالة العثمانية، فكان فرسانها قد فوضوا لمهام ضبط خضوع السكان، فكانت طبيعة حكم افي الأيالة العثمانية تعتمد في مؤسستها العسكرية على الأتراك، لكنها استنجدت ببعض العناصر السكانية لتجنب عدائها وإخضاع الثائرين والمتمردين. لم تكن الإدارة الاستعمارية بعيدة في أهدافها في استعانتها بهذه الفرق التي كانت من ضمن الإرث الذي ورثته فرنسا عن الواقع الاجتماعي للأيالة العثمانية.

³⁶ محمد بجاوي، مرجع سابق، ص 95.

³⁷ Lelieutenant -colinel Brévete Seignol, **historique du 3^e régiment de spahis, Algériennes de 1892a 1923**, Imprimerie Berger Levaraut, pari .

³⁸ **historique du 5^e régiment de spahis, Charles-lavauzelle &C^{ie} Editeurs militaires, paris, 1921, p3-12/**

شكلت فرقة الصبايحية أداة مسلطة على رقاب الجزائريين، خاصة في الفترة الاستعمارية، مثلت صورة نمطية عن فئات المرتزقة، وعملاء، التي اختارت بعض الكتابات لها نعتها بالمتعاونين، أو الفرق العسكرية الأهلية لكن حقيقتها تتجاوز هذا المصطلح المطاطي الذي يخفي واقع مخزي لهذه الفرقة، لكن عزاء في ذلك قلتهم العددية.

لم تحظ الصبايحية بصفة خاصة، مقارنة بباقي الفرق المتطوعة المشكلة من السكان الأصليين، بثقة الضباط الفرنسيين، ووصف فرسانها بألفاظ عنصرية، لأنهم أولا وقبل كل شيء جزائريين، وكانوا كثري التضرر والثورات مقارنة بغيرهم، فكانت ظروفهم السيئة هي التي دفعتهم للعمل كفرسان متطوعة. إلى جانب ذلك تعنتهم الكتابات بالكسل والخمول والتواكل، فرفضوا الخروج مع فرنسا إلى أوروبا. كما لم يناولوا أيضا احترام الجزائريين الذين احتقروهم.

قائمة المصادر والمراجع:

- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1421هـ/ 2000.
- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تعر. عبد القادر زبادية، دار القصة للنشر، الجزائر، 2006.
- ناصر الدين سعيدوني، دور قبائل المخزن في تدعيم الحكم التركي في الجزائر، مجلة الأصالة، مج13، ع32، أبريل 1976.
- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، ط1، بيروت، دار الرب الإسلامي، 2000.
- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي (1514-1830)، دار هومة، 2012.
- مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، تر. حنفي بن عيسى، دار القصة، الجزائر، 2007.
- يحي بوعزيز، مواقف الرسميين التونسيين من ثورة الصبايحية والكلوتي في منطقة الحدود الشرقي، عام 1871، مجلة الأصالة، ع 60-61، سبتمبر 1978.
- محمد بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي (1830-1900)، رسالة ماجستير، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005-2006.

- وحيد بوزيدي، المجندون المسلمون الجزائريون في صفوف جيش الاحتلال الفرنسي وعلاقتهم بالقوة الجزائرية (1954-1962)، دراسة من خلال وثائق أرشيف ما وراء البحار، أطروحة دكتوراه، جامعة حسنية بن بوعلي الجزائر، 2020-2021.
- عائشة ناقل، الاستعمار الفرنسي للجزائر واستغلاله للواقع الاجتماعي الموروث من نظام أiyالة الجزائر، جامعة الجيلالي اليباس سيدي بلعباس، الجزائر، 2021.
- بلجة عبد القادر، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي ودورهم في حروبه الخارجية (1830-1900)، المجلة المغاربة للدراسات التاريخية والاجتماعية، مج3، ع1، 1 جوان 2011، جامعة الجيلالي اليباس سيدي بلعباس.
- Henri federmann, Notice sur l'histoire et l'administration du beyilk de titeri, **Revue africaine**, N11, 1867,p 295.
- Albert Durant, **historique du 3^e régiment de spahis**, Im . milit. Hneri Chareles –Lavauzelle , paris,1892.
- Ismet Yolcu, Sözlük Türkçe Arapça (القاموس تركي- عربي).
- Lelieutenant –colinel Brévete Seignol, **historique du 3^e régiment de spahis, Algerinnes de 1892a 1923**, Imprimerie Berger Levaraut, pari .
- **historique du 5^e régiment de spahis, Charles-lavauzelle & C^{ie}** Editeurs militaires, paris, 1921.
- Lunnel Eugene, **La Question algérienne, les Arabes, les colons, ed Chalmel Aîné**, paris 1869.
- Julien Charles André , **Histoire de l'Algérie Contemporaine, la conquête et les débuts de la colonisation)1827-1871** ,Alger ,Casbah Edition. 2005.
- Florian Pharaon, **Spahis Turcos et Gouliers**, Challamel Alné editeur, 1864.
- **Les Troupes indigènes de l'Algérie au service de la France, Tirailleurs, spahis, Goumiers, Sahariens**, imprimerie Minererva.

الملاحق:

³⁹ صورة نموذجية عن لباس سبايهي



⁴⁰قوائم بأسماء الصبياحية الحاصلين على نياشين

BERNARD (Emile)	1 ^{er} classe	8 juin 1914	En activite
BAUDRY	—	5 nov. 1920	—
BOUVENAIN (Leon)	—	1921	Titre posthume
MATTHE (Antoine)	—	6 mars 1922	—
MOUSSE (Jean-Alb.)	Brigadier	1 ^{er} av. 1917	En activite
CHIBANI	—	—	Titre de reserve
ALLAG MOHAMMED	—	28 dec. 1931	En activite
LIAS KHELIFA BEN HOCHE BEN LIAS	—	—	—
YOUNIS SALAH BEN MOHAMMED	Spahi	17 août 1916	—
MOHAMMED BEN MAAMAR	—	1916	—

NOM ET PRÉNOM	GRADE	DATE	OBSERVATIONS
MUHAMMAD BEN OUBRAHIM BEN BRAHIM -	Spahi	24 avril 1915	En activité
CHABRAH BEN MOHAMMED -		23 fev. 1916	"
CHABRAH MOHAMMED BEN MOHAMMED -		"	"
CHEROUQ MOHAMMED BEN AMER -		2 juill. 1916	"
YERBAH MOHAMMED BEN BOUABBE -		10 avril 1915	"
MERABAI BAKAR BEN HAKMOU -		12 août 1914	"
HERAS SAID BEN ALI -		29 avril 1915	"
KERROU HACENT -		"	"
HOUMARA -		"	"
BEN CHADIE -		"	"
MUHAMMED BEN BRAHIM -		"	"
MUHAMMED BEN NAGI -		14 juill. 1921	"
DZIRRO ABDELKADER -		"	Titre de la réserve
LAZARD BEN ROUBI -		26 fev. 1920	"
HERABRAH BEN MOHAMMED BEN LEGRAND -		25 nov. 1921	Titre posthume
CHABRAH BEN MOHAMMED BEN SAAD -		"	"
ABDELRAHMAN MOHAMMED BEN LAOUER -		"	"
HACHAM LOUARD BEN HAMMOU -		"	"
MERABAI BEN ABRAHAM -		"	"
YERBAH BEN NADIM -		"	"
TAHAR BEN HADJ BEN MOHAMMED -		"	"
MUHAMMED BAKAR BEN TAHAR -		5 nov. 1921	"
HERABRAH BEN HADJ MOHAMMED BEN HADJ -		"	"
SAID ABDEL MOHAMMED BEN BRAHIM -		"	"



NUMBER ET PERSONNE	GRADE	DATE	OBSERVATIONS
HENRIESEN CHRISTENSEN NAMES	Grade	2 nov. 1952	Titre posthume
BARBERE HANSEN - SEN			
ALL			
CHUCKER ROSENBERG			
DUFFALLAN NURS.			

أناشيد خاصة بالصبايحية

³⁹ gallica.bnf/ bibliotheque nationale de France

⁴⁰Le lieutenant -colonel Brévete Seignol, **historique du 3^e régiment de spahis, Algerinnes de 1892a 1923**p69-77



-مجلة جمعية برنوس

